.. قصة ..

الظل الخفي

مريم عصام

.. قصة ..

الظل الخفي

مريم عصام

تصميم الغلاف : مريم عصام

التصنيف : جريمة ، دموي ، غموض

المقدمة

العلم أقوى أم الذكاء؟؟، ماذا لو كان الاثنين في شخص واحد؟، أستتمكن من إيقافه.. أم أنه سيذيب جلدك أولًا؟!

***

في أحد الأماكن المجهولة حيث لا يوجد بها غير معدات قديمة قد صدأت بفعل الزمن، توجد مجموعة من الأطفال الذين لا يقل عمرهم عن الثلاث سنوات ولا يتعدى عمرهم السبع سنوات، يرتعشون فزعًا كُلما مر ذاك الرجل بجانبهم، صرخ بهم بحدة قائلًا:

_ لن تروا أهاليكم بعد اليوم.. تم خطفكم ولن تعودوا مهما حدث، وما هي إلا أيامٌ قليلة وستنتهي حياتكم جميعًا وأخيرًا أقبض ثمنكم.

أنهي كلامه وقهقه بشدة أما هؤلاء الأطفال الأبرياء بدأوا في البكاء بلا صوت خوفًا منه أن يحرقهم مجددًا كما كان يفعل منذ عدة أيام، تركهم مع رجاله وهاتَف أحدًا ما وقال:

_ متى ستأتي لتقطّعهم وتعطني الثمن الذي اتفقنا عليه؟

رد الطرف الآخر بإقتضاب:

_ سأكون موجودًا مساءًا.

أنهى كلامه مع ذاك الذي يُدعى طبيبًا وهو يخون شرف مهنته تلك، ذهب إلى غرفة صغيرة قريبة من مكانه وما إن أغلق بابها والتفت وراءه حتى أتسعت عيناه بهلع وكاد أنّ يصرخ لكن شخصًا ما وضع يده على فمه مانعًا إياه من الصراخ غاب الآخر عن الوعي نتيجة للمخدر الذي في يد الشخص المجهول.

مرت عدة دقائق ثم أفاق ليرى نفسه مُكبلًا بالأحبالِ حاول الصراخ لكن لم يستطع وكأن أحباله الصوتية قد شُلت أو.. دُمرت!، أخذ يدور بعينيه حتى رأى شخصًا يرتدي ملابس سوداء وقبعه سوداء ومُلثم فلا يظهر منه غير عينيه فقط، نطق الشخص المجهول بإشمئزاز:

_ أمثالك لا يجب أن يكونوا على قيد الحياة ولو لبرهة.

أنهى كلامه ثُمَّ بصق في وجهه فحاول الآخر أن يتحدث لكن كانت محاولة فاشلة مُجددًا، نطق الغريب بسخرية:

_ ماذا تريد أنّ تقول؟.. هل تريد تبريء نفسك؟؟.. كيف لك أن تقتل كل تلك الأطفال وتحرمهم من آباءهم، كل ذلك لإجل الأموال؟!

حرك الثاني رأسه برفض وكأنه بريءٌ لم يفعل شيء فقال المُلثم:

_ ما هي إلا دقائق معدودة وننتهي منك أيها القذر.

ألقى على وجهه مُخدر ثانيةً ثُمَّ خارت قوى الآخر بضعف، أما هذا الشخص الغريب فنظر في ساعته وبقى هكذا لمدة تصل إلى نصف ساعة ثُمَّ نظر إلى الهيكل العظمي المُلقى أمامه والدماء التي أغرقت الأرض من حوله أما الأحبال التي كانت تُكبله فذابت هي الأخرى، ابتسم بهدوء وغادر مثلما أتى دون أنّ يراه أو يشعر به أحد وذهب لوجهته القادمة.

***

جهز معداته ليذهب ليقطّع هؤلاء الأطفال كما أتفق معه، ذهب إلى غرفته ليبدل ثيابه فغلق شخص ما باب الغرفة وأحكم إغلاقه لكن لحظة.. هو وحيد في بيته!!، مَن قد يدخل بيته دون أن يشعر ويحبسه في غرفته؟!

ليس هو إلا نفس الشخص المُلثم، صرخ الطبيب من داخل الغرفة يستغيث بأحد ويطرق الباب بعنف وهو يختنق والآخر يبتسم بخبث، دقائق وتوقف كل هذا، توقف الطبيب عن الصراغ والطرق ورحل المُلثم بهدوء وتلك المرة ذهب إلى مكان غريب.. أشبه بـ مُختبر!

***

السماء مظلمة ويزينها القمر الذي لم يكتمل بعد وبعض النجوم اللامعة وسحب بيضاء خفيفة، تحرك في مختبره متجهًا إلى إحدى الغرف المليئة بالصحف، منها القديم ومنها الجديد، أمسك صحيفة من الصحف الجديدة وقرأها، فكان أول خبرٍ بها يقول:

«تم الإمساك بعصابةٍ خطفت العديد من الأطفال لتبيع أعضاءهم، وعثروا على مجموعةٍ من الأطفال تتراوح أعمارهم بين الثالثة والسابعة، أما المسؤول عن كل هذه الجرائم البشعة تم العثور على جثته ذائبة فلم يتبقى منها سوى بعض العظام، ولم يتم العثور على بصمات شخص غريب.»

شعر ببعض الراحة وأكمل النظر في باقي صفحات الصحف حتى عثر على خبرٍ آخر يقول:

«طبيبٌ كان يخون شرف مهنته، تم العثور على جثته، قُتل بسبب اختناقه بغاز سام انتشر في الغرفة فجأة، واعترف عليه أحد أصدقائه بأنه كان يُقطّع الأطفال ويبيع أعضائهم لأحد تجار الأعضاء، لكن الغريب أنه يعيش وحده ولم يشهد أحدٌ دخول أو خروج شخصًا ما، ولا يوجد آثار لغريب.»

ابتسم برضا ثُمَّ انتقل إلى الصفحة التالية فرأى مكتوبٌ بها:

«جاري البحث عن قاتل الطبيب وخاطِف الأطفال لينال جزاءه القانوني فليس من حقه قتل أي شخصٍ دون الرجوع إلى القانون.»

ضحك بسخرية وقال لنفسه بثقة:

_سوف نرى كيف سيعثرون على الظل الخفي.

أنهى جُملته وترك الصحيفة وخرج من الغرفة وأمسك الأواني التي أحضرها معه وأخرج ما بها فإذا هي عيون شخصٍ ما مقطوعة بدقة وبعض عظام الجمجمة، أمسك العيون و وضعها في جِرار زجاجية مع مجموعة أخرى من العيون مع سائل شفَاف غريب، وأمسك العظام فوضعها في أواني حديدية بجانب عظام أخرى أيضًا! فكم مِن شخصٍ قتله ذاك الغريب ليأخذ أجزاءًا من جسده ليجرب مواده المركبة عليهم.

أمسك دفتره الخاص المليء بالخطوط والدوائر الغريبة وفتح صفحة جديدة

ورسم بها سهمان باللون الأسود و وضعهما داخل دائرة قد رسمها هي الأخرى، فماذا تعني تلك الرموز وما الأفكار التي يُفكر بها هذا الرجل؟

***

تلك هي الرسالة الثانية التي تأتيه ولم يفتحها، أنهى عمله وأمسك بالرسالة الأولى التي جاءته سابقًا وفتحها فكان بها تهديدًا صريحًا يقول:

"أتتوقع أنك ستصل إليّ؟؟، ابتعد عن طريقي فلن تتحمل عائلتك ما قد يحدث لك بسببي."

قطّع الورقة بملل وفتح الرسالة الثانية التي جاءته اليوم وقرأ ما بها:

"اراقبك منذ البداية يا ماهر أنتَ وعائلتك الجميلة، إن لم تتوقف عن محاولة العثور عليّ فأنتَ ضحيتي الجديدة.. العلم لا يرحم."

في نهاية الرسالتين كُتب اسم صاحب الرسالة وهو "الظل الخفي"، قرأ اسمه وهو يسخر من هذا الغبي في نظره، حتى لقبه ذاك يدعو للسخرية، لم يفكر كثيرًا مَن هو "الظل الخفي" بالطبع هو القاتل الذي يبحث عنه الجميع، القاتل الذي تعددت جرائمه ولم تعثر عليه الشرطة حتى الآن، وكأنه ظلٌ خفي بالفعل!!، يقتل ضحاياه ثُمَّ يختفي وكأنه لم يكُن موجودًا من الأساس، والغريب أنه لا يقتل إلا أشخاصٌ ظالمة، لا يقتل الأبرياء أبدًا، لكن كان بإمكانه إخبارهم بما يفعلونه هؤلاء بدلًا من قتلهم.

_ لم أقتل أحدًا، صدقوني.

قالها رجلٌ أربعيني بهلع لضباط الشرطة الذين يمسكون به ويكبلونه بعنف، هتف أحدهم قائلًا:

_ قد ثبُت أنك اشتركت في جريمة قتلها، لماذا قد يكذب القاضي.

صرخ الآخر برعب وقال:

_ ظهر دليل برائتي فلماذا قد أقتلها أنا!

_ لتسرق أموالها مع شركائك.

جاوب الأخير بلا إكتراث وكأنه شيءٌ لا يهم، وضعوا رقبته على حبلٍ غليظ وكبلوه من رقبته في هذا الحبل وهو لا يتوقف عن تكرار جملة «لم أقتلها» ثُمَّ.. قُتل مشنوقًا وهو بريء بسبب ذلك القاضي الظالم، كل الأدلة تشير إلى أنه لم يقتل أحدًا بالفعل، ظهرت الأدلة بعد صدور الحكم عليه بالإعدام، لكن ومع ذلك تم قتله ظلمًا.

***

بعد عدة أيام، وفي مكان ما حيث ظلام الليل المخيف، أمسك بذراع الآخر وحقنه بمادة مجهولة فارتعش جسده، حقنه بمادة أخرى فاستكان، أخذ القوارير الصغيرة وخرج من هذا المنزل مُحاولًا التخفي لكن كانت هناك عيون تراقبه فلم ترى غير ظلٍ لرجل لا تظهر ملامحه ثُمَّ اختفى وسط الحشود.

أفاق بعد فترة ليست بكبيرة وصرخ فجأة بلا سبب فأفاقت زوجته وحاولت أن تفهم منه سبب صراخه فقال بكلمات غير مفهومة:

_ إنه بريء، لم يقتل أحدًا، قتلوه بأمرٍ مني وأنا القاضي العادل، لقد ظلمته، دليل برائته قد ظهر وكذّبتهم، أنا استحق الموت.

أنهى كلامه واتجه نحو أداة حادة وحاول تقطيع يديه بلا فائدة وهو يهذي بكلمات غريبة، حاولت زوجته منعه فأبعدها بعنف وقطّع شرايين يديه بقسوة ثُمَّ رمق النافذة بلا تفكير وألقى بنفسه، وكأن عقله لم يعد به أي ذرة وعي.. وكأنه قد جُنَّ!

_ كان انتحاره بسبب اضطراب نفسي لهذا كان يتصرف بغرابة.

_ لكنه كان طبيعيًا قبل نومه!

كانت هذة جملة زوجة القاضى المُنتحر لضابط الشرطة المسؤول عن قضيته، بدت الدهشة على محيى الأخير فلم يتم حقنه بأي مواد غريبة ولا يوجد أثر لأي شيء غريب في جسده فماذا عساه يكون غير اضطراب نفسي، ولكن.. هل يكون مصابًا باضطراب نفسي دون أسباب ويصاب به بهذه السرعة!!

***

أخذ قطعة الكبد التي في يده و وضعها في قواريرزجاجية كبيرة مع قطع أخرى من الكبد في سائل أخضر اللون، تلك القطعة قطعها من ضحيته دون أن يشعر، وحتى بعد موته وبعدما فحصوه الأطباء كان كبده سليمًا، هذا لإنه أخذ قطعة من كبده وهو حي ثُمَّ بعدها بعدة أيام حقنه بمادة جعلته يتصرف بغرابة قبل موته حتى انتحر، الفترة بين أخذه لجزء من كبده وبين قتله كانت كافية لينمو الكبد متجددًا فلا يمكن لأحدٍ أن يعرف بما حدث.

ليس غبيًا كما يظن البعض، بل يرتب ألف مرة قبل أن يفعل شيءً ما، حتى أنه يتوقع ردات الفعل، ودائمًا ما يُصيب توقعه، أمسك دفتره الخاص وفتح صفحة جديدة، رسم سهمًا باللون الأحمر داخل دائرة وفتح صفحة أخرى وكتب بها:

_ العلم ليس أداة للإبداع فقط، بل هو سلاح لا يُهزم.

***

امرأة لم ترى غير شخصٍ في الظلام يخرج من بيت القتيل الأخير، القتيل الأول لهذا الشهر ذاب مثل الجليد ولم يتبقى منه سوى بعضِ العظام وقد تآكلت عظامٌ من الجمجمة، القتيل الثاني قُتل بسبب غاز سام قد أنتشر في غرفته ولم يتعرف عليه المتخصصون في المواد الكيميائية، القاتل لا يقتل إلا الظالمون وهذا يتضح من أول ضحاياه، لكن القاضي لم يكن ظالمًا فلماذا قتله، ربما حدث شيءٌ بينهما، لا يوجد آثار لشخصٍ غريب في بيوت أي قاتلٍ منهم، القاتل لا يترك وراءه دلائل.

كانت تلك الأفكار تدور في ذهنه، تلك هي المرة الأولى التي تقف أمامه قضية كتلك ولا يستطيع العثور على القاتل، حتى أنه لا يعرف مَن قد يكون التالي في قائمة الظل الخفيِ، لا يعرف عنه أي معلوماتٍ حتى غير لقبه، زفر بضيق وهاتف صديقه ليسأله عن شيئًا ما، حين أنتهى كانت هناك ابتسامة واسعة على محياه.

اجتمع مع أصدقائه الضباط في مكتبه، هتف أحدهم بإقتراح:

_ يمكننا البحث عن شخصٍ ظالم بما أن القاتل لا يقتل إلا الظالمون، أما بالنسبة للقاضي فربما ظلم أحد يعرفه، بعد عثورنا على هذا الشخص نراقبه جيدًا حتى يذهب القاتل لبيته ويقتله فنراه حين يخرج أو حتى حين يدخل.

تحدث شخصٌ آخر منهم مُكملًا فكرة الآخر:

_ ويكون معه بالداخل أحد الضباط المتخفيين فلا يلحظهم القاتل ولا حتى صاحب البيت حتى إذا قُتل يخبر باقي الفِرق فنسرع بالإمساك بالقاتل أو حتى نعرف مكانه.

نطق "ماهر" بيأس:

_ هذا إن كنا نعرف حتى شكلهُ أو اسمه، نحن لا نعرف عنه غير لقبه السخيف الذي اختاره لنفسه "الظل الخفي"، قد نلقي القبض على شخصٍ آخر غيره بالخطأ.

قال ضابط آخر بثقة:

_ القاتل لا يقتل ضحاياه إلا في الليل.. بإستثناء عدد قليل من الضحايا لكنهم قُتلوا في الخفاء، فمَن عساه يخرج من بيت القتيل في وقتٍ متأخر من الليل أو حتى يكون على مقربةٍ من بيته حين يأتينا البلاغ أن تم قتله؟!

_ وإن حدث هذا نهارًا؟؟

_ إن كانٍ بيته في مكانٍ خالِ فسيُقتل نهارًا ونحن سنراقب بيته ليلًا ونهارًا حتى يعثر عليه القاتل ويقتله، أما إذا كان بيته في مكان مزدحم فـ بالتأكيد لن يُقتل إلا ليلًا.

ران عليهم صمتٌ ثقيل وهم ينظرون إلى "ماهر" ينتظرون رده، تحدث بتفكير:

_ سأرتب كل هذا وأخبركم بما سنفعل، أول شيء هو البحث عن شخصٍ ظالم لنراقبه.

***

كانت قاعة المحكمة يملأها الضجيج، يتشاورون في ما قد يحدث للمتهم بعد خروج القاضي ومستشاريه، صمت الجميع في ترقب وأعينهم مثبتة على القاضي ينتظرون حكمه، نطق الآخر بثبات:

_ بعد المداولة والتثبت، حكمت المحكمة حضوريًا بمعاقبة المتهم بالسجن مدة خمسة عشر عامًا، وذلك جزاءًا لما ثبُت في حقه من جرم

بالاستيلاء على أموال الناس بغيروجه حق، رُفعت الجلسة.

صاح المتهم يُبريء نفسه، وصُدم بعض الحضوروالبعض الآخركانوا ما بين الدهشة والفرحة، خرج أحدهم وهو يمسك بهاتفه ويحادِث شخصًا ما، قال بضيق:

_ لقد حُكم عليه بالسجن لمدة خمسة عشرعامًا ولا أحد يعلم أنه أنتَ الذي كان من المفترض أن يكون مكانه.

هتف الطرف الآخربغضب:

_ لقد أنهينا هذا الحديث من قبل، أمسكوا به وحُبس وحدث ما حدث.

_ لكنه مظلوم وكلانا يعرف هذا جيدًا.

_ وماذا عسايَ أن أفعل؟؟، هل اذهب ويُحكم عليَّ أنا بدلًا منه!

قالها بلامُبالاة فرد عليه الآخربغيظ:

_ لا، يُحكم عليه هو ظُلمًا أفضل.

أنهى كلًا منهما المكالمة، أما المجرم الحقيقي فكان في بيته وحيدًا، وما كان هذا إلا مستشارًا كبيرًا قد جعل غيره يُحاكم بدلًا منه خوفًا منه على اسمه ومهنته

ما إن أنهى المكالمة والتفت خلفه حتى صُعق بالكهرباء من شخصٍ يرتدي ملابس سوداء ولم يتحمل قوة الكهرباء فخارت قواه سريعًا.

نثر بعضًا من تلك المادة المجهولة على جسده المُلقى أرضًا فبدأ يذوب تدريجيًا حتى أصبح مجرد عظامٍ غارقة في بحرٍ من الدماء، خرج بكبرياء وكأنه لم يفعل شيئًا قط، ومَن ذاك غيره "الظل الخفي".

ذهب إلى بيتٍ آخر كانت به امرأة وابنائها، دلف غرفتها بهدوء ودون أن يشعر به أحد نثر مادةً في الهواء وخرج وابتعد سريعًا عن البيت، فماذا قد تكون فعلت تلك المرأة وابناؤها؟!.

حين ابتعد بمسافة كافية نظر إلى البيت بثباتٍ حتى سمع انفجارًا عاليًا تلاه اشتعال البيت بأكمله، رمقه بتحدي وفي داخله يقول:

_ ليس لي أوقاتًا معينة، أنا أقتل متى أشاء وحينما أشاء، لنرى في النهاية كيف سيمسكون بي.

***

عاد إلى مختبره المعزول وفتح دفتره، رسم دائرة بداخلها سهم أحمر وفي صفحة أخرى دائرة بها سهم أسود ثُمَّ فتح الصفحة الأخيرة في دفتره وكتب بها:

_ انتم تلاحقون إنسانًا، لكنكم تواجهون عالمًا.

ما إن أنهى كتابة تلك الجملة حتى خبأ قناني صغيرة في ملابسة وقناني أخرى تحت أظافره وتحت أسنانه الصناعية.

كان الهواء في مختبره مشبعًا برائحة المواد الكيميائية، ولم يكُن يسمع سوى صوت الأجهزة الغريبة الموضوعة به، تقيس، وتحلل في صمتٍ تام، قناني زجاجية في كل مكان منها الصغير ومنها الكبير تحتوي على مواد كيميائية ممنوعة دوليًا، انكسر الهدوء بصوت ارتطام عنيف بالباب الخارجي فابتسم وفي داخله يقول:

_ كل شيءٍ يسير حسب ما خططت تمامًا.

دوى إنفجار صغير عقبه تحطم الباب إلى شظايا، اندفع رجال الشرطة ومعهم فريق متخصص في المواد الكيميائية وانتشروا في المكان بأكمله، أضواء مصابيحهم قطعت الظلام، تبحث عن هدفها بلا رحمة، أُجبر على الركوع أرضًا بينما قُيدت يداه خلف ظهره، هتف بغموض:

_ لقد دخلتم مختبري لكنكم لم تدخلوا عقلي بعد.

تجاهل الضباط حديثه وظنوه يهذي فأخذوه معهم وبقى الفريق المتخصص فى مختبره يأخذون عينات من المواد الموجودة في المختبر.

***

_ اسمك؟

قالها "ماهر" وهو ينظر إلى الأوراق أمامه دون أن يعيره إهتمامًا، رمقه الآخر بحدة وقال:

_ راكان شديد.

نظر له الآخر وتحدث بسخرية:

_ أهذا لقبك الثاني أم ماذا؟؟

_ بل هو اسمي الحقيقي.

قالها "راكان" ببساطة، فهتف الآخر بعد أن عاد ببصره إلى الورق الذي أمامه:

_ ما جنسيتك؟

_ روسي الجنسية.

_ لماذا؟

قالها الضابط بعد أن شخَّص بصره على هذا الظل الخفي، نطق الآخر بتساؤل:

_ لماذا ماذا؟

_ أنتَ تفهم ما أقصد جيدًا.

_ لا تسأل عن شيء لا يعنيك.

ضرب "ماهر" على مكتبه بغضب وأمسك أحد الضباط "راكان" وهمَّ بضربه فأوقفه الأول قائلًا:

_ توقف.

تركه الضابط فتحدث "ماهر" مكمّلًا:

_ راكان، أجب دون نقاش وإلا ستذوق عذابًا لم تذقه في حياتك.

_ الآن.

قالها "راكان" بنبرة آمرة ونظر له الضابطان بعدم فهم ولكن فجأة.. دوى صوت إنفجار عالٍ فهرول كلٌ من الضباط إلى مصدر الصوت فقال "ماهر" بتهديد واضح:

_ لا تجبرني على استخدام وسائل لا تروق لك.

_ وسائل؟؟ هل تظن أنكم تملكون أدوات تعذيب لم أتذوقها من قبل؟

قالها "راكان" بنبرة ممزوجة بين السخرية والثقة، هتف الآخر بصراخ:

_ أجبني أو سأحيل حياتك إلى جحيم.

اقترب "راكان" قليلًا من الضابط بثبات وأردف بصوت خافت لكنه حاد:

_ لن يتغيرشيء، لا شيء يمكنك فعله لي، لكنك أنتَ.. عندما تنهاركل قوانينك أمام عقلي ستدرك أنك لم تكن سوى قطعة شطرنج صغيرة تحركها يداي.

صرخ "ماهر" بغيظ في الضابط الآخريأمره:

_ يُحبس تحت حراسة مشددة.

قال جملته وخرج إلى مصدرالصوت، فها هو مكتب صديقه قد انفجردون سبب واضح.

عدة إنفجارات تتالت في أماكن مختلفة في القسم، شَعَر الضباط بالهلع والحيرة تظهرعلى محياهم فمن أين تأتي هذة الإنفجارات وكيف لا يستطيعون إيقافها.

بعد عدة ساعات بدأ الحراس الذين يقفون أمام زنزانة هذا القاتل بالتعرض لحوادث غريبة، أحدهم يُصاب بصداع شديد والآخريُصاب بدوارفجأة وآخريُصاب بهلوسة خفيفة ثُمَّ يزداد الأمرسوءًا حتى ينتهي بهم المطاف بالموت.

***

ذهب إلى زنزانته الخاصة وهو يخطو خطواته بثقة والجميع ينظرإليه بتقديرٍ لمركزه، دلف الزنزانة وجلس أمامه وأردف بثبات:

_ لم تجاوب على سؤالي بعد، لماذا؟

رمقه الآخر بنظرة حادة وهتف بسخط:

_ ألم أقل لكَ لا تتدخل في شيءٍ لا يعنيك.

_ يمكنني قتلك على ردك هذا..

قالها الضابط "ماهر" في محاولةٍ منه أن يخيفه لكن ما كاد أن يُكمل كلامه حتى قال "راكان" بمقاطعة:

_ أنتَ تحتاج إلى المعلومات قبل قتلي فأنتَ لست بهذا الغباء لتقتلني أولًا.. لكني سأخبرك لماذا بما أنك شديد الفضول، لإنهم ظالمون وقانونكم هذا لا يحمي الضعفاء منهم بل إنكم حتى لا تعثرون عليهم إلا متأخرًا!

_ وما شأنك أنتَ.

_ شأني هو نفس شأن فضولك المتدخل الذي يجعله يتدخل فيما لا يعنيه، أقوم بما لا تقومون به أنتم.. أقصد لا تستطيعون القيام به.

اشتعل الآخر غضبًا فابتسم "راكان" بعدما تحققت رغبته في إغضابه، هتف الضابط بتساؤل بعدما حاول إمساك أعصابه:

_ أجبتَ على السؤال الأول، ما إجابتك على السؤال الثاني.. كيف؟

_ لماذا لا تريح ذهنك قليلًا وتتركني وشأني؟!

_ أنسيت؟؟ شأنك هو شأني، كان هذا كلامك يا راكان، فكيف أتركك وشأنك؟

_ يعجبني ذكائك يا ماهر، أنظر.

قالها "راكان" بإعجاب بذكاء الضابط ثُمَّ أشار خلفه على جدار الزنزانة فنظر "ماهر" خلفه بحركة تلقائية منه فرأى جملة تُكتب على الحائط وكأنها تنبعث من الهواء:

_ ما بدأ هنا سينتهي في أماكن لن تتوقعوها أبدًا.

أعاد الضابط بصره إلى القاتل الذكي الذي أمامه فشاهد الابتسامة على ثغره ففهم أنها ابتسامة سخرية، نطق بحدة:

_ سنرى يا راكان، لكن ما أنتَ إلا قاتل مهووس بالعلم يعتقد أنه فوق القانون.

خرج من الزنزانة بعدما أنهى حديثه ولكن قبل خروجه سمع جملة تخرج من ثغر هذا القاتل الغريب:

_ اقرأ دفتري الخاص بعناية قد تستطيع فك شفراته.

كيف عرف أنه ذاهب لقراءة دفتره الذي عثروا عليه في مختبره، ربما يكون هذا إستنتاجًا لا أكثر، ليس ربما بل هو بالفعل كذلك فماذا عساه يكون غير ذلك.

ما إن أمسك الدفتر وهمَّ بفتحه حتى استدعاه أحد الضباط الأعلى منه رتبة

فقرر قراءة هذا الدفتر لاحقًا في بيته، بينما بداخل الزنزانة مسح "راكان" بإصبعه الذي بداخل ظفره مادة بيضاء غريبة فأختفت الجملة المكتوبة على الجدران وكتب بإصبع آخر جملة ما لكنها لم تظهر على الجدار وكأنه لم يكتب شيئا قط.

***

بعد عدة أيام، ومع بداية يوم جديد وبزوغ أول ضوء في الأفق بعد ظلمة الليل، حيث الهواء النقي والهدوء، خلع أسنانه الصناعية المملوءة بمادة ما و وضع تلك المادة على قفل الزنزانة فبدأ القفل بالذوبان، نثر مادة أخرى في الهواء كان قد خبأها في ثنايا جلده، أنتشر دخان أبيض كثيف منع عن الحراس الرؤية فخرج هو سريعًا بعدما ذاب القفل وهرب إلى الخارج دون أن يلاحظه أحد متجهًا إلى وجهة ما.

***

كان في ذلك الوقت "ماهر" في منزله يكاد ينتهي من قراءة الدفتر الخاص بالقاتل، صادفته جملتان جعلتاه يشعر بالحنق فالأولى كانت «العلم ليس أداة للإبداع فقط، بل هو سلاح لا يهزم.» والثانية كانت «أنتم تلاحقون إنسانًا لكنكم تواجهون عالمًا.».

وكانت الأخيرة هي آخر جملة في آخر صفحة في ذلك الدفتر، همس لنفسه بعدما فهم كل شيء:

_ راكان شديد هو عالمٌ يستخدم العلم في القتل

ربما بالنسبة له فهو يقتل الذين يستحقون القتل، لكنه قتلٌ في أي حال مهما اختلفت الآراء عليه، الدوائر التي يرسمها في دفتره تعني أن الأسهم التي يرسمها بداخلها تربطهم علاقة واحدة أو ذوي مهن مرتبطة ببعضها، أما الأسهم فتعني الأشخاص، فإن كانت الأسهم سوداء اللون فهذا يعني أنهم أشخاصٌ عاديين أو بمعنى أدق مجرمون عاديون، أما لو كانت الأسهم باللون الأحمر فهذا يعني أنهم أشخاص أصحاب مهن قانونية، أما الدوائر والأسهم معًا فيرسمهما بعد إنهائه لكل جريمة.

توقف إلى هنا وجلس يفكر قليلًا حتى هتف مُكملًا حديثه:

_ أما بالنسبة للقنابل التي كانت في القسم فربما قد جلبها معه بطريقة ما دون أن يلاحظها أحد، والأعراض التي تظهر على حراس زنزانته قد يكون بسبب المواد السامة الموجودة بمختبره..

كاد أن يكمل كلامه لكنه توقف حين سمع صوت حركة من خلفه فاستدار سريعًا فشاهد ما لم يتوقعه، لقد كان "راكان" يقف أمامه ممسكًا بسكين حاد في يده.

تحدث بنبرة هادئة لا تناسب الموقف:

_ لقد أصبت أيها الضابط الذكي، ينقصك معرفة أنواع المواد الكيميائية التي أقتل بها الضحايا، وكيف أقتلهم، وكيف ظهرت العبارة في الزنزانة.

_ وكيف هربت.

قالها الآخر ببرود وكأنه أدرك أنه ميت لا محالة، هتف "راكان" مُفسرًا:

_ لنبدأ بأنواع المواد الكيميائية التي استخدمتها، تلك مواد ممنوعة دوليًا هربتها إلى هنا بالطبع فليست بالشيء الصعب، لنضع طريقة القتل جانبًا الآن، أما العبارة التي ظهرت على الجدار الذي كان خلفك في الزنزانة فأمره سهل.. هربت بعضًا من تلك المواد و وضعتها داخل أظافري فكان بإمكاني كتابة ما أشاء على أي شيء وتبدأ الجمل بالظهور بعد فترة زمنية طويلة، وهربتُ بدخانٍ كثيف صنعته بعض هذه المواد أيضًا وأذبت قفل الزنزانة.

بلع الضابط ريقه بتوتر وقال:

_ بما أنني ميت في كل الحالات فأخبرني كيف تقتل ضحاياك دون أن يكشفك أحد.

_ لا تتسرع فسأقتلك الآن وتشاهد بنفسك كيف لن يراني أحد.

لم ينطق من صدمته فأكمل الآخر:

_ أخبرتك من البداية أن تبتعد عن طريقي لكي لا تصبح الضحية القادمة وتجاهلت كلامي.

_ أسأشعر بشيء؟

_ أبدًا.

_ الآن فقط فهمت لما اخترت لقب الظل الخفي تحديدًا لك، لأنك تقتل ضحاياك في الخفاء ومَن رأوك قالوا بأنهم رأوا ظلًا لا إنسانًا.

_ قتلتهم جميعًا بمواد سامة وتألموا في موتهم، أنتَ الوحيد الذي لن يتألم.

قالها وبدأ عمله الذي لم يستمر طويلًا حتى أصبح الضابط المدعو "ماهر" قِطع من العظام واللحم مقطعة ومقسمة إلى أجزاء منها الصغير ومنها الكبير، وضعه بداخل أكياس عديدة ثُمَّ خرج متخفيًا وألقاه في إحدي القبور التي كان قد فتحها مسبقًا.

أما "راكان" فذهب إلى أحد الأحياء الخالية من الأهالي، فتح بابًا في الأرض فظهرت سلالم عديدة، تحرك إلى أسفل بعدما أغلق الباب خلفه، وصل أخيرًا إلى نهاية السلالم فكانت هناك مواد كيميائية في كل مكان وقناني منها الكبير ومنها الصغير وجِرار زجاجية، نعم إنه مُختبرٌ جديد.. هتف وهو يرمق المُختبر من حوله:

_ الظلال لا تُهزم.. إنها تعود دائمًا.

***

حين اختفى الدخان الكثيف اختفى معه القاتل الخطير، دلف الضباط تباعًا إلى زنزانته فأبصروا جملة مكتوبة على جدار الزنزانة:

_ الخوف ليس في الهروب، الخوف هو أنني هنا دائمًا حتى لو لم تروني.

شعروا بالرعب جميعًا، وحينها وصل لهم خبر اختفاء الضابط "ماهر القاضي" من بيته ازدادوا رعبًا، لاحظ أحدهم وجود شيء لامع في زاوية الزنزانة فاقترب منها فإذا هي ساعة يد قديمة فأمسكها وتفحصها.. وفي تلك اللحظة توقفت عقارب الساعة بشكل غريب عند الساعة الثانية عشر.. فجأة تردد في أذنه صدى صوت خافت:

_ هل تعتقدون أنني رحلت حقًا؟

قد أتى الصوت من تلك الساعة، فغر فاهه بدهشة وهو لا يصدق حقًا ما يحدث، فلماذا الصدمات تأتي تباعًا فلا يعيها عقلنا الباطن؟!

***

..تمت بحمد الله..